ذو النون المصرى

أعـلام التصـوف

ذو النون المصري

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، قبطي الأصل من أهل النوبة، من قرية أخميم بصعيد مصر، أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي كما أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن خلكان أنه كان من الملامتية الذين يخفون تقواهم عن الناس ويظهرون استهزاءهم بالشريعة، وذلك مع اشتهاره بالحكمة والفصاحة.

يعده كتَّاب الصوفية المؤسس الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف وأن للشريعة ظاهراً وباطناً.

ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله.

وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية والباطنية وإخوان الصفا بسبب صِلاته القوية بهم، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والاتحاد، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة القبطية أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته.

ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة ثيولوجيا أرسطو في الإلهيات، ولذلك كان له مذهبه الخاص في المعرفة والفناء متأثراً بالغنوصية.

هو أول من عبر عن علوم المنازلات فأنكر عليه أهل مصر وقالوا: أحدثت علماً لم تتكلم فيه الصحابة وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ورموه عنده بالزندقة وأحضروه من مصر على البريد فلما دخل سر من رأى وعظه فبكى المتوكل ورده مكرماً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان أهل مصر يسمونه بالزنديق فلما مات أظلت الطير الخضر جنازته ترفرف عليه إلى أن وصل إلى قبره.

وكان ذو النون أول من تكلم ببلدته في بعض أمور الصوفية مثل ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر، وهجره علماء مصر. وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف فدعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم فرفض أمره وكني به ابن المتوكل، وهجروه حتى رموه بالزندقة. فقال أخوه: إنهم يقولون: إنك زنديق. فقال:

وما لي سوى الإطراق :: ووضعي كفي تحت خدي
والصمت حيلة : وتذكاري

وقال محمد بن الفرخي: كنت مع ذي النون في زورق، فمر بنا زورق آخر، فقيل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلى السلطان، يشهدون عليك بالكفر. فقال: اللهم إن كانوا كاذبين، فغرقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلت له: فما بال الملاح؟ قال: لم يحملهم وهو يعلم قصدهم؟ ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهود زور، ثم انتفض وتغير، وقال: وعزتك لا أدعو على أحد بعدها.

ثم دعاه أمير مصر، وسأله عن اعتقاده، فتكلم، فرضي أمره. وطلبه المتوكل، فلما سمع كلامه، ولع به وأحبه. وكان يقول: إذا ذكر

الصالحون، فحيهلا بذي النون.

وكانت وفاته في سنة خمس وأربعين ومائتين وكان من أبناء التسعين[1].

مواقف من حياته:

ما سبب توبتك؟

قال يوسف بن الحسين الرازي: حضرت ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سبب توبتك؟ قال: نمت في الصحراء، ففتحت عيني فإذا قنبرة عمياء سقطت من وكر، فانشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان ذهب وفضة، في إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فأكلت وشربت. فقلت: حسبي، فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلني.

أتعبناك يا أبا الفيض

وعن عمرو بن السرح: قلت لذي النون: كيف خلصت من المتوكل، وقد أمر بقتلك؟ قال: لما أوصلني الغلام، قلت في نفسي: يا من ليس في البحار قطرات، ولا في ديلج الرياح ديلجات، ولا في الأرض خبيئات، ولا في القلوب خطرات، إلا وهي عليك دليلات، ولك شاهدات، وبربوبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات، فبالقدرة التي تجير بها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على محمد وعلى آل محمد، وأخذت قلبه عني، فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني، ثم قال: أتعبناك يا أبا الفيض.

(1) شذرات الذهب 2/ 108، تاريخ الخلفاء: 350/1، سير أعلام النبلاء 532/11.

صف لي أولياء الله

وقال يوسف بن الحسين: حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل، وكان مولعاً به، يفضله على الزهاد، فقال: صف لي أولياء الله. قال: يا أمير المؤمنين، هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من إرادة كرامته، ووضع على مفارقهم تيجان مسرته.

فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى

قال عثمان: سمعت ذا النون يقول اعتل رجل من إخواني فكتب إلي أن أدعو الله لي فكتبت إليه سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم واعلم يا أخي أن العلة مجزلة يأنس بها أهل الصفا والهمم والضياء في الحياة ذكرك للشفاء ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ومن لم يأمن التشفيق على نفسه فقد أمن أهل التهمة على أمره فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى والسلام.

ليس هكذا جاءنا الخبر

قال إبراهيم بن يحيى الزبدي لما حمل ذو النون بن إبراهيم إلى جعفر المتوكل أنزله في بعض الدور وأوصى به زرافة: وقال: أنا إذا رجعت غدا من ركوبي فأخرج إلى هذا الرجل فقال له زرافة: إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك فلما رجع من الغد من الركوب قال له: انظر بأن تستقبل أمير المؤمنين بالسلام فلما أخرجه إليه قال له: سلم على أمير المؤمنين فقال ذو النون: ليس هكذا جاءنا الخبر إنما جاءنا في الخبر أن الراكب يسلم على الراجل قال فتبسم أمير المؤمنين وبدأه بالسلام فنزل إليه أمير المؤمنين فقال له: أنت زاهد أهل مصر قال: كذا يقولون فقال له زرافة: فإن أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام الزهاد قال: فأطرق ملياً ثم قال: يا أمير المؤمنين إن الجهل علق بنكتة

أهل الفهم يا أمير المؤمنين إن لله عباداً عبدوه بخالص من السر فشرفهم بخالص من شكره فهم الذين تمر صحفهم مع الملائكة فرغا حتى إذا صارت إليه ملأها من سر ما أسروا إليه أبدانهم دنياوية وقلوبهم سماوية قد احتوت قلوبهم من المعرفة كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الفرج وأطباق السموات لم يخبتوا في ربيع الباطل ولم يرتعوا في مصيف الآثام ونزهوا الله أن يراهم يثبون على حبائل مكره هيبة منهم له وإجلالاً أن يراهم يبيعون أخلاقهم بشيء لا يدوم وبلذة من العيش مزهودة فأولئك الذين أجلسهم على كراسي أطباق أهل المعرفة بالأدواء والنظر في منابت الدواء فجعل تلامذتهم أهل الورع والبصر فقال لهم: إن أتاكم عليل من فقدي فداووه أو مريض من تذكري فأدنوه أو ناس لنعمتي فذكروه أو مبارز لي بالمعاصي فنابذوه أو محب لي فواصلوه يا أوليائي فلكم عاتبت ولكم خاطبت ومنكم الوفاء طلبت لا أحب استخدام الجبارين ولا تولِّ المتكبرين ولا مصافاة المترفين.

يا أوليائي وأحبابي جزائي لكم أفضل الجزاء وإعطائي لكم أفضل العطاء وبذلي لكم أفضل البذل وفضلي عليكم أوفر الفضل ومعاملتي لكم أوفى المعاملة ومطالبتي لكم أشد مطالبة وأنا مقدس القلوب وأنا علام الغيوب وأنا عالم بمجال الفكر ووسواس الصدور من أرادكم قصمته ومن عاداكم أهلكته ثم قال ذو النون بحبك وردت قلوبهم على بحر محبته فاغترفت منه ريا من الشراب فشربت منه بمخاطر القلوب فسهل عليها كل عارض عرض لها عند لقاء المحبوب فواصلت الأعضاء المبادرة وألفت الجوارح تلك الراحة فهم رهائن أشغال الأعمال قد اقتلعتهم الراحة بما كلفوا أخذه عن الانبساط

بما لا يضركن تركه قد سكنت لهم النفوس ورضوا بالفقر والبوس واطمأنت جوارحهم على الدؤوب على طاعة الله عز وجل بالحركات وظعنت أنفسهم عن المطاعم والشهوات فتوالهوا بالفكرة واعتقدوا بالصبر وأخذوا بالرضا ولهوا عن الدنيا وأقروا بالعبودية للملك الديان ورضوا به دون كل قريب وحميم فخشعوا لهيبته وأقروا له بالتقصير وأذعنوا له بالطاعة ولم يبالوا بالقلة إذا خلوا بأقل بكاء وإذا عوملوا فإخوان حياء وإذا كلموا فحكماء وإذا سئلوا فعلماء وإذا جهل عليهم فحلماء فلو قد رأيتهم لقلت عذارى في الخدور وقد تحركت لهم المحبة في الصدور بحسن تلك الصور التي قد علاها النور إذا كشفت عن القلوب رأيت قلوباً لينة منكسرة بالذكر نائرة وبمحادثة المحبوب عامرة لا يشغلون قلوبهم بغيره ولا يميلون إلى ما دونه قد ملأت محبة الله صدورهم فليس يجدون لكلام المخلوعين شهوة ولا بغير الأنيس ومحادثة الله لذة إخوان صدق وأصحاب حياء ووفاء وتقى وورع وإيمان ومعرفة ودين قطعوا الأودية بغير مفاوز واستقلوا الوفاء بالصبر على لزوم الحق واستعانوا بالحق على الباطل فأوضح لهم الحجة ودلهم على المحجة فرفضوا طريق المهالك وسلكوا خير المسالك ودلهم أولئك هم الأوتاد الذين بهم توهب المواهب وبهم تفتح الأبواب وبهم يشأ السحاب وبهم يدفع العذاب وبهم يتسقي العباد والبلاد فرحمة الله علينا وعليهم [1].

مخافة أن أكون كأجير السوء

قال محمد بن إسحاق الشمشاطي سمعت ذا النون يقول: بينما أنا أسير في جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة من

(1) حلية الأولياء، 9 /337 - 338.

صوف فسلمت عليها فردت السلام ثم قالت: أسألك مسألة قلت: سليني قالت: أي شيء السخاء؟ قلت: البذل والعطاء قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة المولى قالت: فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه خيراً قلت: نعم للواحد عشرة قالت مر بإبطال هذا هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة إلى طاعة المولى أن يطلع إلى قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً بشيء ويحك يا ذا النون إني أريد أن أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة فاستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر ولكن أعمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله قال: ثم مرت وتركتني [1].

حب ربك سبحانه واشتق إليه

قال ذو النون: بينما أنا في بعض مسيري إذ لقيتني امرأة فقالت لي: من أين أنت؟ قلت: رجل غريب فقالت لي: ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء قال: فبكيت فقالت لي: ما يبكيك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع لي نجاحه قالت: فإن كنت صادقا فلم بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا قلت: ولم؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب وهذا ضعف الأطباء بإبطال الداء قال: فبقيت متعجبا من كلامها فقالت لي: مالك؟ قلت: تعجبت من هذ الكلام قالت: وقد نسيت القرحة التي سألت عنها قلت: لا ما أنا بالمستغني عن طلب الزوائد قالت: صدقت حب ربك سبحانه واشتق إليه فإن له يوماً يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيقهم من محبته كأساً لا يظمأون بعده أبداً قال: ثم أخذت في

(1) حلية الأولياء، 9 /340.

البكاء والزفير والشهيق وهي تقول: سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحداً يسعفني على البكاء أيام حياتي ثم تركتني ومضت [1].

قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين

قال محمد بن أحمد الشمشاطي: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو وهي تقول في دعائها: يا من هو عند ألسن الناطقين يا من هو عند قلوب الذاكرين يا من هو عند فكرة الحامدين يا من هو على نفوس الجبارين والمتكبرين قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين قال: ثم صرخت صرخة خرت مغشياً عليها.

اطلب دواءك ممن ابتلاك

قال ذو النون: دخلت إلى سواد نيل مصر فجاءني الليل فقمت بين زروعها فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها ثم امتنعت عليها فتركتها وبكت وهي تقول: يا من بذره حباً يابساً في أرضه ولم يك شيئاً أنت الذي صيرته حشيشاً ثم أنبته عوداً قائماً بتكوينك وجعلت فيه حباً متراكباً ودورته فكونته وأنت على كل شيء قدير وقالت: عجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع وعجبت لمن هذا صنعه كيف يشتكي فدنوت منها فقلت: من يشكو أمل المؤملين فقالت لي: أنت يا ذا النون إذا اعتللت فلا تجعل علتك إلى مخلوق مثلك واطلب دواءك ممن ابتلاك وعليك السلام لا حاجة لي في مناظرة الباطلين ثم أنشأت تقول:

وكيف تنام العين وهي قريرة ⁝ ولم تدر في أي المحلين تنزل

(1) حلية الأولياء، 9 /340.

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا

قال أبو بكر محمد بن خلف المؤدب وكان من خيار عباد الله: رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر عند صخرة موسى فلما جن الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما فلما تهور الليل لم يزل ينشد هذين البيتين إلى أن طلع عمود الصبح:

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا ... قد وجدت لي سكناً ليس هو في هواه عنا إن بعدت ... قربني أو قربت منه دنا

أنشد العباس بن أحمد لذي النون المصري:

إذا ارتحل الكرام إليك يوما ... ليلتمسوك حالاً بعد حال
فإن رحالنا حطت لترضي ... بحلمك عن حلول وارتحال
أنخنا في فنائك يا إلهي ... إليك معرضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا ياذا المعالي[1]

ما سبب الذنب؟

سئل ذو النون ما سبب الذنب؟ قال: اعقل ويحك ما تقول فإنها من مسائل الصديقين سبب الذنب النظرة ومن النظرة الخطرة فإن تداركت الخطرة بالرجوع الى الله ذهبت وإن لم تذكرها امتزجت بالوساوس فتتولد منها الشهوة وكل ذلك بعد باطن لم يظهر على الجوارح فإن تذكرت الشهوة وإلا تولد منها الطلب فإن تداركت

(1) حلية الأولياء، 9 /344.

الطلب وإلا تولد منها الغفلة.

قد كان لي قلب فقدته

قال أحمد بن عيسى الوشاء: سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول: سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول: بينما أنا أسير ذات ليلة ظلماء في جبال بيت المقدس إذ سمعت صوتاً حزيناً وبكاء جهيراً وهو يقول يا وحشتاه بعد أنسنا يا غربتاه عن وطننا وافقراه بعد غنانا واذلاه بعد عزنا فتبعت الصوت حتى قربت منه فلم أزل أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا نظرت إليه فإذا رجل ناحل كالشن المحترق فقلت: يرحمك الله تقول مثل هذا الكلام فقال: دعني فقد كان لي قلب فقدته ثم أنشأيقول:

قد كان لي قلب أعيش به ::: بين الهوى فرماه الحب فاحترقا

فقلت له:

لم تشتكي ألم البلا ::: وأنت تنتحل المحبة
إن المحب هو الصبو ::: ر على البلاء لمن أحبه
حب الإله هو السرو ::: ر مع الشفاء لكل كربه[1]

إنه مر على يدي ظالم

قال إسرافيل: حضرت ذا النون في الحبس وقد دخل الجلواذ بطعام له فقام ذو النون فنفض يده فقيل له: إن أخاك جاء به فقال: إنه مر على يدي ظالم.

(1) حلية الأولياء، 9 /345.

ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟

سأل رجل ذا النون فقال: رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال: ذكر المقام وقلة الزاد وخوف الحساب. ثم سمعته يقول بعد فراغه من كلامه ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم والعرض على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار ثم قال: مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم قال: وسمعت ذا النون يقول: قال الحسن ما أخاف عليكم منع الإجابة إنما أخاف عليكم منع الدعاء [1].

العلم نور لصاحبه

قال إسرافيل: سمعت ذا النون يقول: كتب رجل إلى عالم ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك؟ فكتب إليه العالم أثبت العلم الحجة وقطع عمود الشك والشبهة وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني فكتب إليه الرجل العلم نور لصاحبه ودليل على حظه ووسيلة إلى درجات السعداء فكتب إليه العالم أبليت إليه في طلبه جدة الشباب وأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصرت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل.

فاعذرني واتهم نفسك

سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال فقال له ذو النون: قلبي لك مقفل فإن فتح لك أجبتك وإن لم ينفتح لك فاعذرني واتهم نفسك[2].

أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد

(1) حلية الأولياء، 9 /346.
(2) حلية الأولياء، 9 /347.

قال محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري: سمعت ذا النون يقول: يا خراساني احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه ثم قال: تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولي الأسباب ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا ومن علامة تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به ثم قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال مع الله ثم قال: أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد [1].

وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء

قال محمد أبو الحسن الأنصاري: سمعت يوسف بن الحسن يقول: قال ذو النون المصري يوماً وأتاه رجل فقال له: أوصني؟ فقال: بم أوصيك إن كنت ممن قد أيد منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والمرسلين والصديقين وذلك خير من وصيتي لك وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء [2].

يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبًا

قال محمد بن أحمد: سمعت ذا النون يقول: بينما أنا سائر بين جبال الشام إذا أنا بشيخ على تلعة من الأرض قد تساقطت حاجباه على عينيه كبراً فتقدمت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم أنشأ وهو يقول بصوت عليل يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً ويا من قصد إليه الزاهدون فوجدوه حبيباً ويا من استأنس به المجتهدون

(1) حلية الأولياء، 9 /351.
(2) حلية الأولياء، 9 /354.

فوجدوه سريعاً مجيبا ثم أنشأ يقول:

::
وله خصائص مصطفون لحبه : اختارهم في سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه :: فهم ودائع حكمة وبيان
:

ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت [1]

أصبحت من الدنيا على فناء

قال سعيد بن الحكم: سمعت ذا النون يقول: دخلت على متعبدة فقلت لها: كيف أصبحت؟ قالت: أصبحت من الدنيا على فناء مبادرة للجهاز متأهبة لهول يوم الجواز أعترف لله على ما أنعم بتقصيري عن شكرها أقر بضعفي عن إحصائها وشكرها قد غفلت القلوب عنه وهو منشئها وأدبرت عنه النفوس وهو يناديها فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيادي والأنعام.

كالهارب من السبع

قال: وسمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير في بلاد الشام إذا أنا بعابد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إلي استتر بين تلك الأشجار ثم قال: أعوذ بك سيدي ممن يشغلني عنك يا مأوى العارفين وحبيب التوابين ومعين الصادقين وغاية أمل المحبين ثم صاح واغماه من طول البكاء واكرباه من طول المكث في الدنيا ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع إليه فلا شيء ألذ عندهم من ذكره والخلوة بمناجاته ثم مضى وهو يقول: قدوس قدوس فناديته أيها العابد قف لي فوقف لي وهو يقول: اقطع عن قلبي كل

(1) حلية الأولياء، 9 /354.

علاقة واجعل شغله بك دون خلقك فسلمت عليه ثم سألته أن يدعو الله لي فقال: خفف الله عنك مؤن نصب السير إليه وذلك على رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة ثم سعى من بين يدي كالهارب من السبع [1].

صوت حزين كئيب موجع القلب

قال سعيد بن الحكم: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير في بعض سياحتي فإذا أنا بصوت حزين كئيب موجع القلب أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول: سبحان مفني الدهور سبحان مخرب الدنيا سبحان مميت القلوب سبحان باعث من في القبور فاتبعت الصوت فاذا أنا بنقب وإذا الصوت خارج من النقب وهو يقول سبحان من لا يسع الخلق إلا سره سبحانك ما ألطفك بمن خالفك وأوفاك بعهدك سبحانك ما أحلمك عمن عصاك وخالف أمرك ثم قال: سيدي بحلمك نطقت وبفضلك تكلمت وما أنا والكلام بين يديه بما لا يستأهله قدري فيا إله من مضى قبلي ويا إله من يكون بعدي بالصالحين فألحقني ولأعمالهم فوفقني ثم قال: أين الزهاد والعباد أين الذين شدوا مطاياهم إلى منازل معروفة وأعمال موصوفة نزل بهم الزمان فأبلاهم وحل بهم البلاء فأفناهم فهل أنتظر إلا مثل الذي حل بهم ثم أقبل على ما كان فيه فقلت: رجل غرقت نفسه عن كلام الناس فانصرفت وتركته باكيا [2].

(1) حلية الأولياء، 9 /355.
(2) حلية الأولياء، 9 /359.

يا ذا النون غض بصرك

قال محمد بن يزيد: سمعت ذا النون يقول: خرجت حاجاً الى بيت الله الحرام فبينا أنا بالطواف إذا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي وهو يقول في بكائه كتمت بلائي من غيرك وبحت بسري إليك واشتغلت بك عمن سواك عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ثم أنشأ يقول:

ذوقتني طيب الوصال فزدتني ⁝ شوقاً إليك مخامر الحسرات

ثم أقبل على نفسه فقال: أمهلك فما ارعويت وستر عليك فما استحيت وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت ثم قال: عزيزي مالي إذا قمت بين يديك ألقيت علي النعاس ومنعتني حلاوة قرة عيني له ثم أنشأ يقول:

روعت قلبي بالفراق فلم أجد ⁝ شيئاً أمر من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا ⁝ وأطال ما قد كنت منه مودعا

قال فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفياً فلما أحس تحلل بخمار كان عليه ثم قال يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر فإني حرام فعلمت أنها امرأة فقلت: يا أمة الله مم يحوى الهموم قلب المحب فقالت: إذا كانت للتذكار محاورة وللشوق محاضرة ياذا النون أما علمت أن الشوق يوري السقام وتجديد التذكار يورث الأحزان ثم أنشأت تقول:

لم أذق طعم وصلك حتى ⁝ زال عني محبتي للأنام

ثم أنشأت تقول:

نعم المحب إذا تزايد مصله ⁝ وعلت محبته بعقب وصال

فقالت: أوجعني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه [1]

واشغل هواك بحور عين

حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري ثنا أبو عصمة قال: كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملي عليه شيئاً قال: فمرت امرأة ذات جمال وخلق قال: فجعل الفتى يسارق النظر إليها قال: ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأيقول:

دع المصوغات من ماء وطين ⁝ واشغل هواك بحور عين [2]

وتضييعي قلباً لاأقتني مثله أبدا

- كتب الوليد بن عتبة الدمشقي إلى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله فكتب إليه كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به من حالي وأنا بي خلال موجعات أبكاني منهن أربع حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرياسة وإجابتي إبليس لعنه الله فيما يكرهه الله وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشع عند نزول العظة وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ومعرفة كلما قلبتها وجدتني بالله أجهل وأضناني منها أني عدمت خير خصال الإيمان الحياء وعدمت خير زاد الآخرة التقوى وفنيت أيامي بمحبتي للدنيا وتضييعي قلباً لاأقتني مثله أبدا [3].

(1) حلية الأولياء، 9 /375.
(2) حلية الأولياء، 9 /375.
(3) حلية الأولياء، 9 /376.

ذو النون والمريض

دخل ذو النون على مريض يعوده فرأى المريض يئن، فقال ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه، فقال المريض: لا ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضربه، فقال ذو النون: لا ولا صدق من رأى حبه لربه، عز وجل [1].

لأن البكاء راحة للقلب

قال ذو النون المصري: خرجت يوماً من وادي كنعان، فلما علوت الوادي إذا بسواد مقبل علي وهو يقول: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي. فلما قرب مني السواد إذا بامرأة عليها جبة وبيدها ركوة، فقالت لي: من أنت؟ غير فزعة مني، فقلت: رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل توجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت من قولها، فقالت: ما الذي أبكاك؟ قلت: وقع الدواء على داء قد قرح، فأسرع في نجاحه قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: يرحمك الله الصادق لا يبكي، قالت: لا، قلت: ولم ذاك؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب، قال ذو النون: فبقيت والله متعجباً من قولها انتهى [2].

يا راقداً والجليل يحفظه

قال ذو النون المصري: بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقرباً أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه

(1) السرّاج القارئ، مصارع العشاق، 1 / 90.
(2) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 2 / 64.

فحمله على ظهره وذهب به إلى ذلك الجانب قال ذو النون: فاتززت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شجرة فوجدت تحتها غلاماً نائماً من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال: فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقداً والجليل يحفظه ... من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ... يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال: فلما سمع ذلك قال: أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحاً وساح إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

إذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ... تموت الأفاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد ... وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز ... عليه من التضييع في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه بالعجائب (1)

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف،، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1986، 1 / 308، 2 / 255.

من كلامه رحمه الله:

- القرآن كلام الله غير مخلوق.

- مهما تصور في وهمك، فالله بخلاف ذلك.

- الاستغفار جامع لمعان: أولهما: الندم على ما مضى. الثاني: العزم على الترك. الثالث: أداء ما ضيعت من فرض لله. الرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها. الخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام. السادس: إذاقة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية.

- ما خلع الله على عبد من عبيده خلعة أحسن من العقل، ولا قلده قلادة أجمل من العلم، ولا زينه بزينة أفضل من الحلم. وكمال ذلك كله التقوى [1].

- تنال المعرفة بثلاث: بالنظر في الأمور كيف دبرها وفي المقادير كيف قدرها وفي الخلائق كيف خلقها.

- قرأت في باب مصر بالسريانية فتدبرته فإذا فيه يقدر المقدرون والقضاء يضحك.

- إن لله عباداً ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته وهيج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته فسبحان من شوق إليه أنفسهم وأدنى منه هممهم وصفت له صدورهم سبحان موفقهم ومؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم، إلهي لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة انبسطت أيديهم

(1) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، 1409 هـ - 1988م، ص 281.

ما طيبت به عيشهم وأدمت به نعيمهم فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك ففتحت لهم أبواب سمواتك وأتحت لهم الجواز في ملكوتك بك أنست محبة المحبين وعليك معول شوق المشتاقين وإليك حنت قلوب العارفين وبك أنست قلوب الصادقين وعليك عكفت رهبة الخائفين وبك استجارت أفئدة المقصرين قد بسطت الراحة من فتورهم وقل طمع الغفلة فيهم لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم ولا يفترون عن التعب والسهر يناجونه بألسنتهم ويتضرعون إليه بمسكنتهم يسألونه العفو عن زلاتهم والصفح عما وقع الخطأ به في أعمالهم فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحزان وخدموه خدمة الأبرار الذين تدفقت قلوبهم ببره وعاملوه بخالص من سره حتى خفيت أعمالهم عن الحفظة فوقع بهم ما أملوا من عفوه ووصلوا بها إلى ما أرادوا من محبته فهم والله الزهاد والسادة من العباد الذين حملوا أثقال الزمان فلم يألموا بحملها وفقوا في مواطن الامتحان فلم تزل أقدامهم عن مواضعها حتى مال بهم الدهر وهانت عليهم المصائب وذهبوا بالصدق والإخلاص عن الدنيا إلهي فيك نالوا ما أملوا كنت لهم سيدي مؤيداً ولعقولهم مؤدياً حتى أوصلتهم أنت إلى مقام الصادقين في عملك وإلى منازل المخلصين في معرفتك فهم إلى ما عند سيدهم متطلعون وإلى ما عنده من وعيده ناظرون ذهبت الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده فيا حسنهم والليل قد أقبل بحنادس ظلمته وهدأت عنهم أصوات خليقته وقدموا الى سيدهم الذين له يأملون فلو رأيت أيها البطال أحدهم وقد قام إلى صلاته وقراءته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب

العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله فقلوبهم في ملكوت السماوات معلقة وأبدانهم بين أيدي الخلائق عارية وهمومهم بالفكر دائمة فما ظنك بأقوام أخيار أبرار وقد خرجوا من رق الغفلة واستراحوا من وثائق الفترة وأنسوا بيقين المعرفة وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة بلغنا الله وإياكم هذه الدرجة [1].

- كم من مطيع مستأنس وكم عاص مستوحش وكم محب ذليل وكل راج طالب قال: وسمعته يقول: اعلموا أن العاقل يعترف بذنبه ويحس بذنب غيره ويجود بما لديه ويزهد فيما عند غيره ويكف أذاه ويحتمل الأذى عن غيره والكريم يعطي قبل السؤال فكيف يبخل بعد السؤال ويعذر قبل الاعتذار فكيف يحقد بعد الاعتذار ويعف قبل الامتناع فكيف يطمع في الازدياد قال: وسمعته يقول: ثلاثة من أعلام المحبة الرضا في المكروه وحسن الظن في المجهول والتحسين في الاختيار في المحذور وثلاثة من أعلام الصواب الأنس به في جميع الأحوال والسكون إليه في جميع الأعمال وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال وثلاثة من أعمال اليقين النظر إلى الله تعالى في كل شيء والرجوع إليه في كل أمر والاستعانة به في كل حال وثلاثة من أعمال الثقة بالله السخاء بالموجود وترك الطلب للمفقود والاستنابة إلى فضل الموجود وثلاثة من أعمال الشكر المقاربة من الإخوان في النعمة واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية واستقلال الشكر لملاحظة المنة وثلاثة من أعلام الرضى ترك الاختيار قبل القضا وفقدان المرارة بعد القضا وهيجان الحب في حشو البلا وثلاثة من أعمال الإنس بالله استلذاذ الخلوة والاستيحاش من الصحبة واستحلاء الوحدة

(1) حلية الأولياء، 9 /339.

وثلاثة من أعلام حسن الظن بالله قوة القلب وفسحة الرجا في الزلة ونفي الإياس بحسن الإنابة وثلاثة من أعلام الشوق حب الموت مع الراحة وبغض الحياة مع الدعة ودوام الحزن مع الكفاية [1].

- إن لله صفوة من خلقه وإن لله لخيرة من خلقه، قيل له: يا أبا الفيض فما علامتهم؟ قال: إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة وأحب سقوط المنزلة قيل له: يا أبا الفيض فما علامة إقبال الله عز وجل على العبد قال: إذا رأيته صابراً شاكراً ذاكراً فذلك علامة إقبال الله على العبد قيل: فما علامة إعراض الله عن العبد قال: إذا رأيته ساهياً راهباً معرضاً عن ذكر الله فذاك حين يعرض الله عنه ثم قال: ويحك كفى بالمعرض عن الله وهو يعلم أن الله مقبل عليه وهو معرض عن ذكره قيل له: يا أبا الفيض فما علامة الأنس بالله قال: إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه يوحشك من نفسه وإذا رأيته يوحشك من خلقه فإنه يؤنسك بنفسه ثم قال أبو الفيض: الدنيا والخلق لله عبيد خلقهم للطاعة وضمن لهم أرزاقهم ونهاهم وحذرهم وأنذرهم فحرصوا على ما نهاهم الله عنه وطلبوا الأرزاق وقد ضمنها الله لهم فلا هم في أرزاقهم استزادوا ثم قال: عجباً لقلوبكم كيف لا تتصدع ولأجسامكم كيف لا تتضعضع إذا كنتم تسمعون ما أقول لكم وتعقلون [2].

- إن لله عباداً عرفوه بيقين من معرفته فشمروا قصداً إليه احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب صحبوا الدنيا بالأشجان وتنعموا فيها بطول الأحزان فما نظروا إليها بعين راغب ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب خافوا البيات فأسرعوا ورجو النجاة

(1) حلية الأولياء، 9 /340.
(2) حلية الأولياء، 9 /343.

فأزمعوا بذكره لهجت ألسنتهم في رضا سيدهم نصبوا الآخرة نصب أعينهم وأصغوا إليها بآذان قلوبهم فلو رأيتهم رأيت قوماً ذبلاً شفاههم خمصاً بطونهم حزينة قلوبهم ناحلة أجسامهم باكية أعينهم لم يصحبوا العلل والتسويف وقنعوا من الدنيا بقوت طفيف لبسوا من اللباس أطماراً بالية وسكنوا من البلاد قفاراً خالية هربوا من الأوطان واستبدلوا الوحدة من الإخوان فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب خمص لطول السرى شعث لفقد الكرا قد وصلوا الكلال بالكلال وتأهبوا للنقلة والارتحال.

- إن سكتَّ علمَ ما تريد وإن نطقتَ لم تنل بنطقك ما لا يريد وعلمه بمرادك ينبغي أن يغنيك عن مسألته أو ينجيك عن مطالبته [1]

- إن الطبيعة النقية هي التي يكفيها من العظمة رائحتها ومن الحكمة إشارة إليها [2].

- إن لله خلصاء من عباده ونجباء من خلقه وصفوة من بريته صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها في الملكوت معلقة أولئك نجباء الله من عباده وأناء الله في بلاده والدعاة إلى معرفته والوسيلة إلى دينه هيهات بعدوا وفاتوا ووارتهم بطون الأرض وفجاجها على أنه لا تخلو الأرض من قائم فيها بحجته على خلقه لئلا تبطل حجج الله ثم قال وأين أولئك قوم حجبهم الله من عيون خلقه وأخفاهم عن آفات الدنيا وفتنها ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين واستعانوا على أعمال الفرائض بالعلم واستدلوا على فساد أعمالهم بالمعرفة

(1) حلية الأولياء، 9 /345.
(2) حلية الأولياء، 9 /346.

وهربوا من وحشة الغفلة وتسربلوا بالعلم لاتقاء الجهالة واحتجزوا عن الغفلة بخوف الوعيد وجدوا في صدق الأعمال لإدراك الفوت وخلوا عن مطامع الكذب ومعانقة ا لهوى وقطعوا عري الارتياب بروح اليقين وجاوزوا ظلم الدجا ودحضوا حجج المبتدعين باتباع السنن وبادروا إلى الانتقال عن المكروه قبل فوت الإمكان وسارعوا في الإحسان تعريضاً للقعود عن الإساءة ولاقوا النعم بالشكر استجلالاً لمزيده وجعلوه نصب أعينهم عند خواطر الهمم وحركات الجوارح من زينة الدنيا وغرورها فزهدوا فيها عياناً وأكلوا منها قصداً وقدموا فضلاً وأحرزوا ذخراً وتزودوا منها التقوى وشمروا في طلب النعيم بالسير الحثيث والأعمال الزكية وهم يظنون بل لا يشكون أنهم مقصرون وذلك أنهم عقلوا فعرفوا ثم اتقوا ونفروا فاعتبروا حتى أبصروا فلما أبصروا استولت عليهم طرقات أحزان الآخرة فقطع بهم الحزن حركات ألسنتهم عن الكلام من غير عي خوفاً من التزين فيسقطوا من عين الله فأمسكوا وأصبحوا في الدنيا مغمومين وأمسوا فيها مكروبين مع عقول صحيحة ويقين ثابت وقلوب شاكرة وألسن ذاكرة وأبدان صابر ةوجوارح مطيعة أهل صدق ونصح وسلامة وصبر وتوكل ورضى وإيمان عقلوا عن الله أمره فشغلوا الجوارح فيما أمروا به وذكر وحياء وقطعوا الدنيا بالصبر على لزوم الحق وهجروا الهوى بدلالات العقول وتمسكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن ولهم في كل ثار منها دمعة ولذة وفكر وعيرة ولهم مقام عل المزيد للزيادة فرحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين قال: وسمعت ذا النون يقول: إياك أن تكون في المعرفة مدعياً وتكون بالزهد محترفاً وتكون بالعبادة متعلقاً فقيل له: يرحمك الله فسر لنا ذلك

فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء وأنت معرى من حقائقها كنت مدعياً وإذا كنت في الزهد موصوفاً بحالة وبك دون الأحوال كنت محترفاً وإذا علقت بالعبادة قلبك وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله كنت بالعبادة متعلقاً لا يوليها والمنان عليك[1].

- قيل لأبي الفيض ذي النون كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تعباً إن نفعني تعبي والموت يجد في طلبي وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت مقيماً على ذنب ونعمة فلا أدري من الذنب أستغفر أم على النعمة أشكر وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بطالاً عن العبادة متلوثاً بالمعاصي أتمنى منازل الأبرار وأمل عمل الأشرار [2].

- من أدرك طريق الآخرة فليكثر مساءلة الحكما ء ومشاورتهم وليكن أول شيء يسأل عن العقل لأن جميع الأشياء لا تدرك إلا بالعقل ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لم تخدم ثم اخدم [3].

- قال يوسف بن الحسن: أتى رجل من أهل البصرة ذا النون فسأله متى تصح لي عزلة؟ الخلق قال إذا قويت على عزلة نفسك قال: فمتى يصح طلبي للزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك هارباً من جميع ما يشغلك عن الله لأن جميع ما شغلك عن الله هي دنيا قال: يوسف فذكرت ذلك لطاهر القدسي فقال: هذا نزل أخبار المرسلين [4].

قال أبو عثمان سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون المصري وسئل

(1) حلية الأولياء، 9 /350.
(2) حلية الأولياء، 9 /351.
(3) حلية الأولياء، 9 /351.
(4) حلية الأولياء، 9 /351.

أي الحجاب أخفى الذي يحتجب به المريد عن الله فقال: ويحك ملاحظة النفس وتدبيرها وقال ذو النون: وقال بعضهم علم القوم بأن الله يراهم على كل حال فاحترزوا به عمن سواه فقال له غيره من أصحابه من الزهاد وكان حاضرا بمجلسه يقال له طاهر: يا أبا الفيض رحمك الله بل نظروا بعين اليقين إلى محبوب القلب فرأوه في كل حالة موجوداً وفي كل لمحة ولحظة قريباً وبكل رطب ويابس عليماً وعلى كل ظاهر وباطن شهيداً وعلى كل مكروه ومحبوب قائماً وعلى تقريب العبيد وتبعيد القريب مقتدراً ولهم في كل الأحوال والأعمال سائساً ولما يريدهم به موفقاً فاستغنوا بسياسته وتدبيره وتقويته عن تدبير أنفسهم وخاضوا البحار وقطعوا القفار بروح النظر إلى نظره البهيج وخرقوا الظلمات بنور مشاهدته وتجرعوا المرارات بحلاوة وجوده وكابدوا الشدائد واحتملوا الأذى في جنب قربه وإقيان عليهم وخاطروا بالنفوس فيما يعلمون ويحملون ثقة منهم باجتيازه ورضوا بما يضعهم فيه من الأحوال محبة منهم لإرادته وموافقة لرضاه ساخطين على أنفسهم معرفة منهم بحقه واستعداداً للعقوبة بعدله عليهم فأداهم ذلك إلى الابتلاء منه فلم تسع عقولهم ومفاصلهم وقلوبهم محبة لغيره ولم تبق زنة خردلة منه خالية منه ولا باقياً فيهم سواه فهم له بكليتهم وهو لهم حظ في الدنيا والآخرة وقد رضي عنهم ورضوا عنه وأحبهم فأحبوه وكانوا له وكان لهم وآثروه وآثرهم وذكروه فذكرهم أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون فصاح عند ذلك ذو النون وقال: أين هؤلاء؟ وكيف الطريق إليهم؟ وكيف المسلك؟ فصاح به يا أبا الفيض الطريق مستقيم والحجة واضحة فقال له: صدقت والله

يا أخي فالهرب إليه ولا تعرج إلى غيره[1].

- قال سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون يقول: ويحك من ذكر الله على حقيقة نسي في حبه كل شيء ومن نسي في حبه كل شيء حفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضاً في كل شيء قال: وسمعت ذا النون وأتاه رجل فقال: يا أبا الفيض دلني على طريق الصدق والمعرفة فقال: يا أخي أد إلى الله صدق حالتك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنة ولا ترق حيث لم ترق فتزل قدمك فإنه إذا زل بك لم تسقط وإذا ارتقيت أنت تسقط وإياك أن تترك ما تراه يقيناً ترجوه شكا قال: وسمعت ذا النون يقول: وسئل متى يجوز للرجل أن يقول أراني الله كذا وكذا؟ فقال: إذا لم يطق ذلك ثم قال ذو النون: أكثر الناس إشارة إلى الله في الظاهر أبعدهم من الله وأرغب الناس في الدنيا وأخفاهم لها طلبا أكثرهم لها ذما عند طلابها قال: وسمعته يقول: كلت ألسنة المحققين لك عن الدعاوى ونطقت ألسنة المدعين لك بالدعاوى قال: وسمعت ذا النون يقول: لا يزال العارف ما دام في دار الدنيا متردداً بين الفقر والفخر فإذا ذكر الله افتخر وإذا ذكر نفسه افتقر قال: وسمعت ذا النون وسئل بم عرف العارفون ربهم؟ فقال: إن كان بشيء فبقطع الطمع والإشراف منهم على اليأس مع التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها وبذل المجهود من أنفسهم ثم إنهم وصلوا بعد إلى الله بالله [2]

- وقال يوسف: وسألت ذا النون ما علامة الآخرة في الله؟ قال ثلاث: الصفاء والتعاون والوفاء فالصفاء في الدين والتعاون في

(1) حلية الأولياء، 9 /352.
(2) حلية الأولياء، 9 /353.

المواساة والوفاء في البلاء [1].

- إن لله عبادا فتقوا الحجب وعلوا التجب حتى كشف لهما لحجب فسمعوا كلام الرب قال: وسمعت ذا النون يقول: إن لله عباداً على الأرائك يسمعون كلام الله إذا كلم المحبين في المشهد الأعلى لأنهم عبدوه سراً فأوصل إلى قلوبهم طرائف البر عملوا ببعض ما علموا فلما وقفوا في الظلام بين يديه هدى قلوبهم إلى ما يعلمون فحسرت ألبابهم لمعرفة الوقوف بين يديه.

- لكل قوم عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه من ذكر الله

- سئل ذو النون من أدوم الناس عناء؟ قال أسوؤهم خلقاً قيل وما علامة سوء الخلق؟ قال كثرة الخلاف [2].

- قال ذو النون لفتى من النساك: يا فتى خذ لنفسك بسلاح الملامة وأقمعها برد الظلامة تلبس غداً سرابيل السلامة واقصرها في روضة الأمان وذوقها مضض فرائض الإيمان تظفر بنعيم الجنان وجرعها كأس الصبر ووطنها على الفقر حتى تكون تام الأمر فقال له الفتى: وأي نفس تقوى على هذا؟ فقال: نفس على الجوع صبرت وفي سربال الظلام خطرت نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا نفس تدرعت رهبانية القلق ورعت الدجا إلى واضح الفلق فما ظنك بنفس في وادي الحنادس سلكت وهجرت اللذات فملكت وإلى الآخرة نظرت والى العيناء أبصرت وعن الذنوب أقصرت وعلى الذر من القوت اقتصرت ولجيوش الهوى قهرت وفي ظلم الدياجي سهرت

(1) حلية الأولياء، 9 /353.
(2) حلية الأولياء، 9 /355.

فهي بقناع الشوق مختمرة وإلى عزيزها في ظلم الدجا مشتمرة قد نبذت المعايش ورعت الحشايش هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم [1].

- بالعقول يجتني ثمر القلوب وبحسن الصوت تستمال أعنة الأبصار وبالتوفيق تنال الحظوة وبصحبة الصالحين تطيب الحياة والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكرك وإن ذكرت أعانك.

- حرم الله الزيادة في الدين والإلهام في القلب والفراسة في الخلق على ثلاثة نفر على بخيل بدنياه وسخي بدينه وسيء الخلق مع الله فقال له رجل: بخيل بالدنيا عرفناه وسخي بدينه عرفناه صف لنا سيء الخلق مع الله قال: يقضي الله قضاء ويمضي قدراً وينفذ علماً ويختارلخلقه أمراً فترى صاحب سوء الخلق مع الله مضطرباً في ذلك كله غير راض به دائماً شكواه من الله إلى خلقه فما ظنك [2].

- من أنس بالخلوة فقد استمكن من بساط الفراغ ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من مقاعد الإخلاص ومن كان حظه من الأشياء هواه لم يبال ما فاته ممن هو دونه ثم قال: المتضع يبدي غير الذي هو به والصادق لا يبالي على أي جنب وقع.

- إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبة الله فإذا سكن درجة الهيبة دامت طاعته لربه فإذا أطاع تولدت من الطاعة الرجاء فإذا سكن درجة الرجاء تولدت

(1) حلية الأولياء، 9 /356.
(2) حلية الأولياء، 9 /358.

من الرجاء المحبة فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق فإذا اشتاق أداه الشوق إلى الأنس بالله فإذا أنس بالله اطمأن الى الله فاذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم ونهاره في نعيم وسره في نعيم وعلانيته في نعيم [1]

- إن لله عباداً أسكنهم دار السلام فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام وقيدوا الجوارح عن فضول الكلام وطووا الفرش وقاموا جوف الظلام وطلبوا الحور الحسان من الحي الذي لا ينام فلم يزالوا في نهارهم صياماً وفي ليلهم قياماً حتى أتاهم ملك الموت عليه السلام [2].

- أشد المريدين نفاقاً من لحظ لحظة أو نطق بكلمة بلا حجة استبانها فيما بينه وبين ربه ثم سئل عن الحجة فعبر عن نفسه بحجة كان قبل الفعل في الوقت غافلا [3].

- ثلاث علامات الخوف الورع عن الشبهات بملاحظة الوعيد وحفظ اللسان مراقبة للتعظيم ودواء الكمد إشفاقاً من غضب الحليم وثلاثة من أعمال الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤيتهم في الأعمال نظراً إلى الله واقتضاء ثواب العمل في الآخرة بحسن عفو الله في الدنيا بحسن المدحة وثلاثة من أعمال الكمال ترك الجولأن في البلدان وقلة الاغتباط لنعماه عند الامتحان وصفو النفس في السر والإعلان وثلاثة من أعمال اليقين قلة المخالفة للناس في العشرة وترك المدح لهم في العطية والتنزه عن ذمهم في المنع

(1) حلية الأولياء، 9 /359.
(2) حلية الأولياء، 9 /359.
(3) حلية الأولياء، 9 /360.

والرزية وثلاثة من أعلام التوكل نقض العلائق وترك التملق في السلائق واستعمال الصدق في الخلائق وثلاثة من أعلام الصبر التباعد عن الخلطاء في الشدة والسكون إليه مع تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة وثلاثة من أعلام الحكمة إنزال النفس من الناس كباطنهم ووعظهم على قدرعقولهم ليقوموا عنه بنفع حاضر وثلاثة من أعلام ا لزهد قصر الأمل وحب الفقر واستغناء مع صبر وثلاثة من أعلام العبادة حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة وكراهة الصبح لرؤية الناس والغفلة والبدار بالصالحات مخافة الفتنة وثلاثة من أعلام التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل أحد وثلاثة من أعمال السخاء البذل للشيء مع الحاجة إليه وخوف المكافأة استقلالاً للعطية والخوف على النفس استغناء لإدخال السرور على الناس وثلاثة من أعلام حسن الخلق قلة الخلاف على المعاشرين وتحسين ما يرد عليه من أخلاقهم وإلزام النفس اللائمة فيما يختلفون فيه كفاً عن معرفة عيوبهم وثلاثة من أعلام الرحمة للخلق انزواء العقل للملهوفين وبكاء القلب لليتيم والمسكين وفقدان الشماتة بمصائب المسلمين وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه وثلاثة من أعظم الاستغناء بالله التواضع للفقراء المذللين والتعظم على الأغنياء المتكبرين وترك المعاشرة لأبناء الدنيا المستكبرين وثلاثة من أعلام الحياء وجدان الأنس بفقدان الوحشة والامتلاء من الخلوة بإدمان التفكر واستشعار الهيبة بخالص المراقبة وثلاثة من أعلام المعرفة الإقبال على الله والانقطاع إلى الله والافتخار بالله وثلاثة من أعلام

التسليم مقابلة القضاء بالرضا والصبر عند البلا والشكر عند الرخا

حدثنا عثمان بن محمد ثنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي حدثني عبدالله بن سهل قال: سألت ذا النون فقلت: متى أعرف ربي؟ قال: إذا كان لك جليسا ولم تر لنفسك سواه أنيساً قلت: فمتى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما أسخطه عندك أمر من الصبر قلت: فمتى أشتاق إلى ربي؟ قال: إذا جعلت الآخرة لك قراراً ولم تسم الدنيا لك مسكناً وداراً [1].

- مكتوب في التوراة ملعون من ثقته إنسان مثله [2].

- طوبى لمن أنصف ربه عز وجل قيل: وكيف ينصف ربه؟ قال: يقر له بالآفات في طاعته وبالجهل في معصيته وإن آخذه بذنوبه رأى عدله وإن غفر له رأى فضله وإن لم يتقبل منه حسناته لم يره ظالماً لما معه من الآفات وإن قبلها رأى إحسانه لما جاد به من الكرامات [3].

- قال سعيد بن عثمان الخياط: سمعت ذا النون يقول: وسأله رجل يا أبا الفيض رحمك الله من أراد التواضع كيف السبيل إليه؟ فقال له: افهم ما ألقى إليك من أراد إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع أن لا ينظر إلى نفسه دون الله ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ::**من تواضع لله رفعه الله**ـــ يقول من تذلل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه الله بعز

(1) حلية الأولياء، 9 /361.
(2) حلية الأولياء، 9 /361.
(3) حلية الأولياء، 9 /363.

الانقطاع إليه [1].

- اجلس إلى من تكلمك صفته ولا تجلس إلى من يكلمك لسانه.

- إن لله عباداً عاملوه بالتصديق فقد يسلمون من طريق دقيق ويفتح لهم حجاب المضيق ويسامحهم الشقيق الرفيق جعلوا الصيام غذاء

لما سمعوه يقول فيها من كل فاكهة زوجان فهم غدا يسكنون مع الحور في الشرفات ويأكلون مما اشتهت أنفسهم من الشهوات في جنات عدن مع القاصرات وقد أتاهم جبريل بالزيادة من صاحب السماوات فمن مثل هؤلاء القوم وقد كشف لهم الحجاب عالم السر والخفيات ونظر إليهم صاحب البر والكرامات [2]

- إن لله عباداً علموا الطريق إليه والوقوف غداً بين يديه فثارت القلوب الى محجوب الغيوب فجرعوا مرارة مذاق خوف واستعملوا الظلام في رضا صاحب السموات فسقاهم من أعين العلم والزيادات وغوصهم في بحار السلامات فهم غداً يسلمون من هذه الزلازل والسطوات ويسكنون الغرفات [3]

- إن الله تعالى لم يمنع الجنة أعداءه بخلاً ولكن صان أولياءه الذين أطاعوه أن يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه [4].

(1) حلية الأولياء، 9 /368.
(2) حلية الأولياء، 9 /369.
(3) حلية الأولياء، 9 /369.
(4) حلية الأولياء، 9 /371.

- سئل ذو النون عن السفلة من هو؟ قال: من لا يعرف الطريق إلى الله ولم يتعرفه [1].

- سئل ذو النون مالنا لا نقوى على النوافل؟ قال: لإنكم لا تصحون الفرائض وقيل من أدوم الناس دنيا له؟ قال: من أحب دنيا فانية.

- قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله ومن علامة المحب لله أن لا يكون له حاجة إلى غير الله.

- إذا كنت قائماً بما أمرت به تاركاً لتكلف ما كفيت فأنت كامل العقل وإذا كنت متعلقاً بالله في أحوالك لا بأعمالك غير ناظر إلى سواه فأنت كامل المعرفة [2].

- طوبى لمن كان شعار قلبه الورع ولم يعم بصر قلبه الطمع وكان محاسباً لنفسه فيما صنع.

- إنما يختبر ذو البأس عند اللقاء وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء وذو الأهل والولد عند الفاقة والبلاء والإخوان عند نوائب القضاء.

- البلاء ملح المؤمن إذا عدم البلاء فسد حاله.

- إن لله عباداً أبصروا فنظروا فلما نظروا عقلوا فلما عقلوا علموا فلما علموا عملوا فلما عملوا انتفعوا رفع الحجاب فيما بينهم وبينه فنظروا بأبصار قلوبهم إلى ما ذخر لهم من خفي محجوب الغيوب فقطعوا كل محجوب وكان هو المنى والمطلوب.

- ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يذله على ذل نفسه وما

(1) حلية الأولياء، 9 /371.
(2) حلية الأولياء، 9 /371.

أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه [1].

- حرمة الجليس أن تسره فإن لم تسره فلا تسؤه لم يكسب محبة الناس في هذا الزمان إلا رجل خفيف المرونة عليهم وأحسن القول فيهم وأطاب العشرة معهم [2].

- الحب لله عام والود لله خاص لأن كل المؤمنين يذوقون حبه وينالونه وليس كل مؤمن ينال وده ثم أنشأيقول:

::
:
من ذاق طعم الوداد :: حمى جميع العباد
من ذاق طعم الوداد : قلى جميع العباد
من ذاق طعم الوداد :: سلى طريق العباد
من ذاق طعم الوداد : أنس برب العباد [3]
::
:

- الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس غم واقع قيل لذي النون ما الأنس بالله قال: العلم والقرآن [4].

- وسئل ذو النون لم أحب الناس الدنيا؟ قال: لأن الله تعالى جعلها خزانة أرزاقهم فمدوا أعينهم إليها وقيل له ما إسناد الحكمة؟ قال: وجودها، وسئل يوماً فيم يجد العبد الخلاص؟ فقال: الخلاص في الإخلاص فإذا أخلص تخلص فقيل: فما علامة الإخلاص؟ قال: إذا لم يكن في عملك صحبة المخلوقين ولا مخافة ذمهم فأنت مخلص إن

(1) حلية الأولياء، 9 /374.
(2) حلية الأولياء، 9 /375.
(3) حلية الأولياء، 9 /377.
(4) حلية الأولياء، 9 /377.

شاء الله تعالى [1].

- سئل ذو النون المصري عن المحبة فقال: هي التي لا تزيدها منفعة ولا تنقصها مضرة ثم أنشأ يقول:

شواهد أهل الحب باد دليلها ... بأعلام صدق ما يضل سبيلها
جسوم أولي صدق المحبة والرضا ... تبين عن صدق الوداد نحولها
إذا ناجت الأفهام أنس نفوسهم ... بألسنة تخفي على الناس قبلها
وضجت نفوس المستهامين واشتكت ... جوى كان عن أجسامها
شربي لها يحنون حزناً ضاعف ... ونيران شوق كالسعير عليها
الخوف شوجوه ... نوم بهم تقواه وهو دليلها
وساروا على حب الرشاد إلى العلى ... وفاز بزلفى ذي الجلال حلولها [2]
فحطوا بدار القدس في خير منزل

- قيل لذي النون كم الأبواب إلى الفطنة؟ قال: أربعة أبواب أولها الخوف ثم الرجاء ثم المحبة ثم الشوق ولها أربعة مفاتيح فالفرض مفتاح باب الخوف والنافلة مفتاح باب الرجاء وحب العبادة والشوق مفتاح باب المحبة وذكر الله الدائم بالقلب واللسان مفتاح باب الشوق وهي درجة الولاية فإذا هممت بالارتقاء في هذه الدرجة فتناول مفتاح باب الخوف فإذ فتحته اتصلت إلى باب الفطنة مفتوحاً لا غلق عليه

(1) حلية الأولياء، 9 /377.
(2) حلية الأولياء، 9 /378.

فإذا دخلته فما أظنك تطيق ما ترى فيه حينئذ يجوز شرفك الأشراف ويعلو ملكك ملك الملوك واعلم أي أخي أنه ليس بالخوف ينال الفرض ولكن بالفرض ينال الخوف ولا بالرجا تنال النافلة ولكن بالنافلة ينال الرجاء كما أنه ليس بالأبواب تنال المفاتيح ولكن بالمفاتيح تنال الأبواب واعلم أنه من تكامل فيه الفرض فقد تكامل فيه الخوف ومن جاء بالنافلة فقد جاء بالرجاء ومن جاء بمحبة العبادة فقد وصل إلى الله ومن شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه وهذا سر الملكوت فاعلمه واحفظه حتى يكون الله عز وجل هو الذي يناوله من يشاء من عباده [1]

- إذا اطلع الخبير على الضمير فلم يجد في الضمير غير الخبير جعل فيه سراجاً منيرا [2]

- أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى كن كالطير الوحداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من ماء القراح إذا جنه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناسا بي واستيحاشا ممن عصاني يا موسى إني آليت على نفسي أن لا أتم لمة بر من دوني عملاً يا موسى لأقطعن أمل كل مؤمل يؤمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سوائي ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري ولأعرضن عن من أحب حبيباً سوائي يا موسى إن لي عباداً إن ناجوني أصغيت إليهم وإن نادوني أقبلت عليهم وإن أقبلوا على أدنيتهم وإن دنوا مني قربتهم وإن تقربوا مني اكتنفتهم وإن والوني واليتهم وإن صافوني صافيتهم وإن عملوا لي جازيتهم هم في حماي وبي يفتحرون وأنا

(1) حلية الأولياء، 9 /378.
(2) حلية الأولياء، 9 /378.

مدبر أمورهم وأنا سائس قلوبهم وأنا متولي أ حوالهم لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء إلا في ذكري فذكري لأسقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون إلا بي ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي ولا يستقر قرارهم في الإيواء إلا إلي ثم قال ذو النون: هم يا أخي قوم قد دوب الحزن أكبادهم وأنحل الخوف أجسامهم وغير السهر ألوانهم وأقلق خوف البعث قلوبهم قد سكنت أسرارهم إليه وتذللت قلوبهم عليه فنفوسهم عن الطاعة لا تسلو وقلوبهم عن ذكره لا تخلو وأسرارهم في الملكوت تعلو الخشوع يخشع لهم إذا سكتوا والدموع تخبر عن خفي حرفتهم إذا كمدوا قد سدُّوا فرج الشهوات بحلاوة المناجاة فليس للغفلة عليهم مدخل ولا للّهو فيهم مطمع قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات وحال العصمة بينهم وبين اللذات فهم على بابه يبكون وإليه يبكون ومنه يبكون فيا طوبى للعارفين ما أغنى عيشهم وما ألذَّ شربهم وما أجل حبيبهم [1].

- من ذبح خنجر الطمع بسيف الإياس وردم خندق الحرص ظفر بكيمياء الحزمة ومن استقى بحبل الزهد على دلو الغروف استقى من حب الحكمة ومن سلك أدوية الكمد بحياء حياة الأبد ومن حصد عشب الذنوب بمنجل الورع أضاءت له روضة الاستقامة ومن قطع لسانه بشفرة الصمت وجد طعم عذوبة الراحة ومن تدرع بدرع الصدق قوي على مجاهدة عسكر الباطل واعتدل خوفه ورجاؤه وحسن في الآخرة مثواه ومن فرح بمدحة الجاهل الشيطان ثوبه الحماقة [2]

- قال ذو النون وسأله رجل فقال: يا أبا الفيض ما التوكل؟ فقال

(1) حلية الأولياء، 9 /378.
(2) حلية الأولياء، 9 /379.

له: خلع الأرباب وقطع الأسباب فقال له: زدني فيه حالة أخرى فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية قال: وسمعت ذا النون يقول: طوبى لمن تطهر ولزم الباب طوبى لمن تضمر للسباق طوبى لمن أطاع الله أيام حياته قال: وسمعته يقول: من وثق بالمقادير استراح ومن صحح استراح ومن تقرب قرب ومن صفى صفي له ومن توكل وفق ومن تكلف مالا يعنيه ضيع ما يعنيه [1]

- وصف ذو النون المشتاقين فقال: سقاهم من صرف المودة شربةً، فماتت شهواتهم في القلوب من خوف عواقب الذنوب، وذهلت أنفسهم عن المطامع من حذر فوت المناعم، قد أنحلوا الأبدان بالجوع وصفوا القلوب من كل كدر، فهي معلقة بمواصلة المحبوب، ثم قال: يا حسن غراس الأشجان في رياض الكتمان! وذكر كلاماً ثم تنفس وقال:

شـوُقٌ أضَـرّ بمُهجَـةِ المُشـتَاق :: فجَرَتْ سوَابقُ عَبـرَةِ الآمـاق.
لَعِبتْ يدُ العَبَرَاتِ فـي وَجَناتـهَ :: وكذا بِـهِ لَعِبَتْ يدُ الأشوَاقِ [2]

- اتخذ الدنيا ظئراً، والآخرة أماً.

- من كانت قناعته سمنته طابت له كل مرقةٍ [3].

- الأنس بالله نور ساطع والأنس بالخلق غم قاطع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ::**نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيها نفسه وبصره ولسانه وفرجه**ـــ.

(1) حلية الأولياء، 9 /380.
(2) السرّاج القارئ، مصارع العشاق، 1 / 90.
(3) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 40، 55، 85.

- قال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يَزُل عنهم الخوف، فإذا زال الخوف ضلّوا الطريق.

وقال ذو النون المصري: ثلاثة من أعلام التواضع: تصغير النفس معرفة بالعيب، وتعظيم الناس حرمة للتوحيد، وقبول الحق والنصيحة من كل أحد.

العبد بين نعمة وذنبٍ، لا يصلحهما إلا الشكر والاستغفار [1].

- ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء، فإن الرجاء إذا غلب تشوش القلب.

- أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه.

- الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين.

- حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله: {ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ} [التوبة: ١١٨].

- من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه.

- التوكل الانخلاع من الحول والقوة وترك تدبير الأسباب وقال بعضهم: التوكل رد العيش إلى يوم واحد بإسقاط هم غد.

- أرسل ذو النون المصرى رجلاً إلى أبى يزيد وقال له: إلى متى النوم والراحة قد سارت القافلة؟ فقال له أبو يزيد: قل لأخى: الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذو النون: هنيئا

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1417 هـ - 1997م، 2 / 202.

له هذا الكلام لا تبلغه أحوالنا.

- الحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق [1].

- علامة السعادة ثلاث: متى ما زيد في عمره نقص من حرصه، ومتى زيد في ماله زيد في سخائه، ومتى زيد في قدره زيد في تواضعه. وعلامة الشقاء ثلاث: متى ما زيد في عمره زيد في حرصه، ومتى ما زيد في ماله زيد في بخله، ومتى ما زيد في قدره زيد في تجبره وقهره وتكبره [2].

- الزهد الاستخفاف بثلاثة أشياء: بالنفس والشيء والخلق، فإذا استخف بالنفس عزبه، وإذا استخف بالشيء ملكه، وإذا استخف بالخلق خدمه. أبو الأدنيان: اليقين ترك التدبير فيما لا تملك. الحرص طلب ما في يد الغير. وقيل: الحرص تضييع الكثير وطلب القليل.

- إذا فسدت النية وقعت البلية. وقال أبو سعيد الجزار: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي: هذا وأمثاله كل على الناس، فناداني: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، فاستغفرت الله تعالى في نفسي. فناداني: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، وغاب عني.

- وسئل ذو النون عن قوله تعالى:{ئۇئۆئۆئۇئۇئۆئىئىئىئىئى} [النمل: ٣٤]، فقال: القرية قلب المؤمن والملك المعرفة فإذا سكنت المعرفة القلب طردت ما فيه غير ذكر الله. وقال أبو علي السوسني: بلغني يا

(1) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه،، 1 / 89، 199، 2 / 202، 212، 214.
(2) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص75.

رسول الله أنك قلت: شيبتني هود فما الذي شيبك منها؟ قال: قوله تعالى:{ڈژژ} [هود: ١١٢] (1).

- ما طابت الدنيا إلا بذكره وما طابت الآخرة إلا برحمته وما طابت الجنة إلا برؤيته.

وعنه إن لله عباداً كانت البلايا عندهم عملاً والشدائد عندهم سكراً والأحزان عندهم رطباً.

- اللَّحظات تورث الحسرات: أوّلها أسفٌ، وآخرها تلفٌ. فمن تابع طرفه، تابع حتفه.

- التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة. وقال أبو بكرٍ الدقاق: التوكل رد العيش إلى يومٍ واحدٍ وإسقاط هم غد.

- وسئل ذو النون: ما التوكل؟ فقال: خلع الأرباب، وقطع الأسباب. فقال السائل: زدني، فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية. وقال مسروق: التوكل الاستسلام لجريان القضاء والأحكام.

- ويقول سألت حكيماً عن العقل فقال: العقل شجرة أصلها العلم، وفرعها العمل، وثمرتها السنة.

- حقيقة الأنس بالله الاستيحاش من القواطع عن الله (2).

- من جهل قدره هتك ستره.

- وسمع ذو النون من يقول: اللهم استرنا بسترك، فأمن بعض

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 235، 492.
(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ص 74، 89، 90.

القوم، فقال ذو النون: واصلح ما تحت الستر.

- وحبس ذو النون أياماً فلم يأكل، وبعثت إليه أخت له في الله طعاماً على يد السجان فلم يأكل وقال: هو حلال ولكن جاءني على طبق ظالم، وأشار إلى يد السجان.

- إياك أن تطلب العلم بالجهل؛ قيل: كيف يطلب العلم بالجهل؟ قال: إذا قصدت العالم في غير وقته، وتخطيت الرقاب، وتركت في طلبه حرمة الشيوخ، ولم تستعمل فيه السكينة والوقار وأدب النفس، فذلك طلب العلم بالجهل [1].

ومن دعائه:

- يا رب أنت الذي دخل في رحمتك كل شيء فلم تضق إلا عمن ارتجله الشك إلى جحدك قال: وسمعت ذا النون يقول وقد وقف عليه رجل فسأله شيئا فقال له ذو النون: إن المتكفل برزقك غير متهم عليك[2].

- إلهي إن أهل معرفتك لما أبصروا العافية ولمحوا بأبصارهم إلى منتهى العاقبة وأيقنوا بجودك وكرمك وابتدائك إياهم بنعمك ودللتهم على ما فيه نفعهم دونك إذ كنت متعالياً عن المضار والمنافع استقلوا كثير ما قدموا من طاعتك واستصغروا عظيم ما اقترفوا من عبادتك واستلانوا ما استوعره غيرهم بذلوا المجهود في طلب مرضاتك واستعظموا صغر التقصير في أداء شكرك وإن كان ليس شيء من التقصير في طاعتك بذل المجهود صغيراً كان عندهم

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، ص317.
(2) حلية الأولياء، 9 /368.

فنحلت لذلك أبدانهم وتغيرت لذلك ألوانهم وخلت من غيرك قلوبهم واشتغلت بذكرك عقولهم وألسنتهم وانصرفت عن خلقك إليك همومهم وأنست وطابت بالخلوة فيك نفوسهم لا يمشون بين العباد إلا هونا وهم لا يسعون في طاعتك إلا ركضاً إلهي فكما أكرمتهم بشرف هذه المنازل وأبحتهم رفعة هذه الفضائل اعقد قلوبنا بحبل محبتك ثم حولنا في ملكوت سمواتك وأرضك واستدرجنا إلى أقصى مرادك درجة درجة واسلك بنا مسلك أصفيائك منزلة منزلة واكشف لنا عن مكنون علمك حجاباً حجاباً حتى تنتهي إلى رياض الأنس وتجتني من ثمار الشوق إليك وتشرب من حياض معرفتك وتتنزه في بساتين نشر آلائك وتستنقع في غدران ذكر نعمائك ثم اردها إلينا بطرف الفوائد وامددها بتحف الزوائد واجعل العيون منا فوارة بالعبرات والصدور منا محشوة بالحرقات واجعل قلوبنا من القلوب التي سافرت إليك بالجوع والعطش واجعل أنفسنا من الأنفس التي زالت عن اختيارها لهيبتك أحينا ما أحييتنا على طاعتك وتوفنا إذا توفيتنا على ملتك راضين مرضيين هداة مهديين مهتدين غير مغضوب علينا ولا ضالين [1].

- إلهي من ذا الذي ذاق طعم حلاوة مناجاتك فألهاه شيء عن طاعتك ومرضاتك من ذا الذي ضمنت له النصر في دنياه وآخرته فاستنصر بمن هو مثله في عجزه وفاقته أم من ذا الذي تكفلت له بالرزق في سقمه وصحته فاسترزق غيرك بمعصيتك في طاعته أم من ذا الذي عرفته آثامه فلم يحتمل خوفاً منك مؤونة فطامه أم من ذا الذي أطلعته على ما لديك ثم انقطع إليك من كرامته فأعرض عنك

(1) حلية الأولياء، 9 /365.

صفحاً إخلاداً إلى الدعة في طلب راحته من ذا الذي عرف دنياه وآخرته فآثر الفاني على الباقي لحمقه وجهالته أم من ذا الذي شرب الصافي من كأس محبتك فلم يستبشر بقوارع محنتك أم من ذا الذي عرف حسن اختيارك لخلقك في قدرتك فلم يرض بذلك أم من ذا الذي عرف علمك بسره وعلانيته وقدرتك على نفعه وضره فلم يكتف بك عن علم غيرك به ولم يستغن بك عن قدرة عاجز مثله [1].

- اللهم متع أبصارنا بالجولان في جلالك وسهرنا عما نامت عنه عيون الغافلين واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور وعلقها بأطناب التفكر ونزه أبصارنا عن سر مواقف المتحيرين وأطلقنا من الأسر لنجول في خدمتك مع الجوالين اللهم اجعلنا من الذين استعملوا ذكر قطع اللذات وخالفوا متاع الغرة بواضحات المعرفة اللهم اجعلنا من الذين لخدمتك في أقطار الأرض لهم طلاباً ولخصائص أصفيائك أصحابا وللمريدين المعتكفين ببابك أحباباً اللهم اجعلنا من الذين غسلوا أوعية الجهل بصفو ماء الحياة في مسالك النعيم حتى جالت في مجالس الذكر مع رطوبة ألسنة الذاكرين اللهم اجعلنا من الذين رتعوا في زهرة ربيع الفهم حتى تسامت أسنية الفكرة فوق سمو السمو حتى تسامى بهم نحو مسام العلويين براحات القلوب ومستنيطات عيون الغيوب بطول استغفار الوجوه في محاريب قدس رهبانية الخاشعين حتى لاذت أبصار القلوب بجواهر السماء وعبرت أفنية النواحين من مصاف الكروبين ومجالسة الروحانيين فتوهموا أن قد قرب احتراق بالقلوب عند إرسال الفكرة في مواقع الأحزان بين يديك فأحرقت نار الخشية بصائر مناقب الشهوات من قلوبهم وسكنت خوافي ضلوع

(1) حلية الأولياء، 9 /355.

مضايق الغفلات من صدورهم فأنبت ذكر الصلوات رقاد قلوبهم [1].

- إلهي لو أصبت موئلا في الشدائد غيرك أو ملجأ في المنازل سواك لحق لي أن لا أعرض إليه بوجهي عنك ولا أختاره عليك لقديم إحسانك إلى وحديثه وظاهر منتك علي وباطنها ولوتقطعت في البلاء إرباً إرباً وانصبت علي الشدائد صباً صباً ولا أجد مشتكى غيرك ولا مفرجا لما بي عني سواك فيا وارث الأرض ومن عليها ويا باعث جميع من فيها ورث أملي فيك مني أملي وبلغ همي فيك منتهى وسائلي[2].

- إلهي ما أصغى إلى صوت حيوان ولا حفيف شجر ولا خرير ماء ولا ترنم طائر ولا تنعم ظل ولا دوي ريح ولا قعقعة رعد إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك دالة على أنه ليس كمثلك شيئ وأنك غالب لا تغلب وعالم لا تجهل وحليم لا تسفه وعدل لا تجور وصادق لا تكذب إلهي فإني أعترف لك اللهم بما دل عليه صنعك وشهد لك فعلك فهب لي اللهم طلب رضاك برضاي ومسرة الوالد لولده يذكرك لمحبتي لك ووقار الطمأنينة وتطلب العزيمة اليك لأن من لم يشبعه الولوع باسمك ولم يروه من ظمائه ورود غدران ذكرك ولم ينسه جميع الهموم رضاه عنك ولم يلهه عن جميع الملاهي تعداد آلائك ولم يقطعه عن الأنس بغيرك مكانه منك كانت حياته ميتة وميتته حسرة

(1) حلية الأولياء، 9 /358.
(2) حلية الأولياء، 9 /351.

وسروره غصة وأنسه وحشة إلهي عرفني عيوب نفسي وافضحها عندي لأتضرع إليك في التوفيق للتنزه عنها وأبتهل إليك بين يديك خاضعاً ذليلاً في أن تغسلني منها واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم تجول في ملكوتك وتتفكر في عجائب صنعك ترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك قد ألبستهم خلع محبتك خلعت عنهم لباس التزين لغيرك، إلهي لا تترك بيني وبين أقصى مرادك حجاباً إلا هتكته ولا حاجزاً إلا رفعته ولا وعراً إلا سهلته ولا باباً إلا فتحته حتى تقيم قلبي بين ضياء معرفتك وتذيقني طعم محبتك وتبرد بالرضى منك فؤادي وجميع أحوالي حتى لا أختار غير ما تختاره وتجعل لي مقاماً بين مقامات أهل ولايتك ومضطربا فسيحا فى ميدان طاعتك إلهي كيف استرزق من لا يرزقني إلا من فضلك أم كيف أسخطك في رضى من لا يقدر على ضري إلا بتمكينك فيا من أسأله إيناساً به وإيحاشاً من خلقه ويا من إليه التجائي في شدتي ورجائي ارحم غربتي وهب لي من المعرفة ما أزداد به يقينا ولا تكلني إلى نفسي الأمارة بالسوء طرفة عين [1].

- اللهم اجعلنا من الذين جازوا ديار الظالمين واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين وشابوا ثمرة العمل بنور الإخلاص واستقوا من عين الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح اليقين ولججوا في بحر النجاة ورسوا بشط الإخلاص اللهم اجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في العلا وحطت همم قلوبهم في عاريات التقى حتى أناخوا في رياض النعيم وجنوا من رياض ثمار التسنيم وخاضوا لجة السرور وشربوا بكأس العيش واستظلوا تحت العرش في الكرامة اللهم اجعلنا

(1) حلية الأولياء، 9 /342.

من الذين فتحوا باب الصبر وردموا خنادق الجزع وجازوا شديد العقاب وعبروا جسر الهوى فإنه تعالى يقول وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى اللهم اجعلنا من الذين أشارت إليهم أعلام الهداية ووضحت لهم طريق النجاة وسلكوا سبيل إخلاص اليقين.

- إلهي وسيلتي إليك نعمك علي وشفيعي اليك إحسانك إلي إلهي أدعوك في الملأ كما تدعى الأرباب وأدعوك في الخلا كما تدعى الأحباب أقول في الملأ يا إلهي وأقول في الخلا يا حبيبي أرغب إليك وأشهد لك بالربوبية مقراً بأنك ربي وإليك مردي ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً وخلقتني من تراب ثم أسكنتني الأصلاب ونقلتني إلى الأرحام ولم تخرجني برأفتك في دولة ايمة ثم أنشأت خلقي من مني يمنى ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث بين دم ولحم ملتاث وكونتني في غير صورة الإناث ثم نشرتني إلى الدنيا تاماً سوياً وحفظتني في المهد طفلاً صغيراً صبياً ورزقتني من الغذاء لبنا مريا وكفلتني حجور الأمهات وأسكنت قلوبهم رقة لي وشفقة علي وربيتني بأحسن تربية ودبرتني بأحسن تدبير وكلأتني من طوارق الجن وسلمتني من شياطين الإنس وصنتني من زيادة في بدني تشينني ومن نقص فيه يعيبني فتباركت ربي وتعاليت يا رحيم فلما استهللت بالكلام أتممت على سوابغ الأنعام وأنبتني زائداً في كل عام فتعاليت ياذا الجلال والإكرام حتى إذا ملكتني شأني وشددت أركاني أكملت لي عقلي حجاب الغفلة عن قلبي وألهمتني النظر في عجيب صنائعك وبدائع عجائبك ورفعت وأوضحت لي حجتك ودللتني على نفسك وعرفتني ما جاءت به رسلك ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف

أرياش بمنك العظيم وإحسانك القديم وجعلتني سوياً ثم لم ترض لي بنعمة واحدة دون أن أتممت علي جميع النعم وصرفت عني كل بلوى وأعلمتني الفجور لأجتنبه والتقوى لأقترفها وأرشدتني إلى ما يقربني إليك زلفى فإن دعوتك أجبتني وإن سألتك أعطيتني وإن حمدتك شكرتني وإن شكرتك زودتني إلهي فأي نعم أحصى عدداً وأي عطائك أقوم بشكره أما أسبغت علي من النعماء أو صرفت عني من الضراء إلهي أشهد لك بما شهد لك باطني وظهري وأركاني إلهي إني لا أطيق إحصاء نعمك فكيف أطيق شكرك عليها وقد قلت وقولك الحق وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أم كيف يستغرق شكري نعمك وشكرك من أعظم النعم عندي وأنت المنعم به علي كما قلت سيدي وما بكم من نعمة فمن الله وقد صدقت قولك إلهي وسيدي بلغت رسلك بما أنزلت إليهم من وحيك غير أني أقول بجهدي ومنتهى علمي ومجهود وسعي ومبلغ طاقتي الحمد لله على جميع إحسانه حمداً يعدل حمد الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين [1].

- قال محمد بن عبدالملك بن هاشم: سمعت ذا النون المصري يقول: في دعائه: اللهم إليك تقصد رغبتي وإياك أسأل حاجتي ومنك أرجو نجاح طلبتي وبيدك مفاتيح مسألتي لا أسأل الخير إلا منك ولا أرجوه من غيرك ولا أيأس من روحك بعد معرفتي بفضلك يا من جمع كل شيء حكمته ويا من نفذ في كل شيء حكمه يا من الكريم اسمه لا أحد لي غيرك فأسأله ولا أثق بسواك فآله ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها وأتوكل عليه فمن أسأل إن جهلتك وبمن

(1) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، 1405، 9 /332، 333.

أثـق بعـد إذ عرفتـك اللهـم إن ثقتـي بـك وإن ألهتنـي الغفـلات عنـك وأبعـدتني العثـرات منـك بـالاغترار يـا مقيـل العثـرات إن لـم تتلافنـي بعصمة من العثرات فـإني لا أحـول بعزيمـة من نفسـي ولا أروم علـى خليفة بمكان من أمـري أنـا نعمـة منـك وأنـا قدر من قدرك أجري فـي نعمـك وأسـرح فـي قـدرك ازداد علـى سـابقة علمـك ولا انـتقص مـن عزيمـة أمـرك فأسـألك يـا منتهـى السـؤالات وأرغـب إليـك يـا موضـع الحاجات سواك من قد كذب كل رجاء إلا منك ورغبـة من رغـب عن كل ثقـة إلا عنـك أن تهـب لـي إيمانـاً أقدم بـه عليـك وأوصـل بـه عظـم الوسيلة إليك وأن تهـب لـي يقينـاً لا توهنـه بشـبهة إفك ولا تهنـه خطـرة شك ترحب به صدري وتيسر به أمري ويأوى إلـى محبتك قلبـي حتـى لا ألهـو عن شكرك ولا أنعم إلا بـذكرك، يـا من لا تمل حـلاوة ذكره ألسن الخائفين ولا تكل من الرغبات إليه مدامع الخاشـعين أنـت منتهـى سرائر قلبي في خفايا الكتم وأنت موضع رجائي بين إسراف الظلم من ذا الذي ذاق حلاوة مناجاتك فلها بمرضاة بشر عن طاعتك ومرضاتك رب أفنيت عمري في شدة السهو عنك وأبليت شبابي في سكرة التباعد منك ثم لم أستبطئ لك كلاءة ومنعة في أيام اغتراري بك وركوني إلـى سبيل سخطك وعن جهل يـا رب قربتنـي الغرة إلـى غضبك أنـا عبدك ابـن عبـدك قـائم بـين يـديك متوسـل بكرمـك إليـك فـلا يزلنـي عن مقـام أقمتنـي فيـه غيـرك ولا ينقلنـي من موقـف السـلامة من نعمـك إلا أنـت أتتصل إليك بما كنت أواجهك به من قلة استحيائي من نظرك وأطلب العفو منـك يـا رب إذ العفـو نعمـة لكرمـك يـا مـن يعصـى ويتـاب إليـه فيرضـى كأنـه لـم يعـص بكـرم لا يوصـف وتحـنن لا ينعـت يـا حنـان بشفقته يا متجاوز بعظمته لم يكن لي حول فأنتقل عن معصيتك إلا في

وقت أيقظتني فيه لمحبتك وكما أردت أن أكون كنت وكما رضيت أن أقول قلت خضعت لك وخشعت لك إلهي لتعزني بإدخالي في طاعتك ولتنظر إلى نظر من ناديته فأجابك واستعملته بمعونتك فأطاعك يا قريب لا بعيد عن المعتزين ويا ودود لا تعجل علي المذنبين اغفر لي وارحمني يا أرحم الراحمين [1].

- قال سعيد بن عبد الحكم: سمعت ذا النون يقول: خرجت في طلب المناجاة فإذا أنا بصوت فعدلت إليه فإذا أنا برجل قد غاص في بحر الوله وخرج على ساحل الكمه وهو يقول في دعائه أنت تعلم أني لأعلم أن الاستغفار مع الإصرار لؤم وأن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك لعجز إلهي أنت الذي خصصت خصائصك بخالص الإخلاص وأنت الذي سلمت قلوب العارفين من اعتراض الوسواس وأنت آنست الآنسين من أوليائك وأعطيتهم كفاية رعاية المتوكلين عليك تكلؤهم في مضاجعهم وتطلع على سرائرهم وسري عندك مكشوف وأنا إليهم ملهوف قال ثم سكنت صرخته فلم أسمع له صوتا[2].

- قال أبو عثمان سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون أبا الفيض يقول: اللهم اجعلنا من الذين تفكروا فاعتبروا ونظروا فأبصروا وسمعوا فتعلقت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة حتى أناخت وانكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها ففتقوا بنور الحكم ما رتقه ظلم الغفلات وفتحوا أبواب مغاليق العمى بأنوار مفاتيح الضياء وعمروا مجالس الذاكرين بحسن مواظبة استيدام الثناء اللهم اجعلنا

(1) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 9 /334.
(2) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 9 /334.

من الذين تراسلت عليهم ستور عصمة الأولياء وحصنت قلوبهم بطهارة الصفاء وزينتها بالفهم والحياء وطيرت همومهم في ملكوت سمواتك حجاباً حتى تنتهي إليك فرددتها بظرائف الفوائد اللهم اجعلنا من الذين سهل عليهم طريق الطاعة وتمكنوا في أزمة التقوى ومنحوا بالتوفيق منازل الأبرار فزينوا وقربوا وكرموا بخدمتك وسمعته يقول لك الحمد يا ذا المن والطول والآلاء والسعة إليك توجهنا وبفنائك أنخنا ولمعروفك تعرضنا وبقربك نزلنا يا حبيب التائبين ويا سرور العابدين ويا أنيس المنفرين ويا حرز اللاجين ويا ظهر المنقطعين ويا من حبب إليه قلوب العارفين وبه نست أفئدة الصديقين وعليه عطفت رهبة الخائفين يا من أذاق قلوب العابدين لذيذ الحمد وحلاوة الانقطاع إليه يا من يقبل من تاب ويعفو عمن أناب ويدعو المولين كرماً ويرفع المقبلين إليه تفضلاً يا من يتأنى على الخاطئين ويحلم عن الجاهلين ويا من حل عقدة الرغبة من قلوب أوليائه ومحا شهوة الدنيا عن فكر قلوب خاصته وأهل محبته ومنحهم منازل القرب والولاية ويا من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى صبياً يا من منح بالنوال ويا من جاد بالاتصال يا ذا الذي استدرك بالتوبة ذنوبنا وكشف بالرحمة غمومنا وصفح عن جرمنا بعد جهلنا وأحسن إلينا بعد إساءتنا يا آنس وحشتنا ويا طبيب سقمنا يا غياث من أسقط بيده وتمكن حبل المعاصي وأسفر خدر الحيا عن وجهه هب خدودنا للتراب بين يديك يا خير من قدر وأرأف من رحم وعفا [1].

- قال أبو عثمان سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون يقول: أسألك باسمك الذي ابتدعت به عجائب الخلق في غوامض العلم يجود جلال

(1) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 9 /335.

جمال وجهك في عظيم عجيب تركيب أصناف جواهر لغاتها فخرت الملائكة سجداً لهيبتك من مخافتك أن تجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في العلى وحطت همم قلوبهم في مغلبات الهوى حتى أناخوا في رياض النعيم وجنوا من ثمار التسنيم وشربوا بكأس العشق وخاضوا لجج السرور واستظلوا تحت فناء الكرامة اللهم اجعلنا من الذين شربوا بكأس الصفا فأورثهم الصبر على طول البلاء حتى توليت قلوبهم في الملكوت وجالت بين سرائر حجب الجبروت ومالت أرواحهم في ظل برد نسيم المشتاقين الذين أناخوا في رياض الراحة ومعدن العز وعرصات المخلدين [1].

ومن شعره رحمه الله:

ـ منع القران بوعده ووعيده :: مقل العيون بليلها أن تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه : فهما تذل له الرقاب وتخضع [2]

قال فتح بن شخرف دخلت على ذي النون عند موته فقلت كيف تجدك؟ فقال:

أموت وما ماتت إليك صبابتي :: ولا رويت من صدق حبك
مناي المنى كل المنى أنت لي : أوطاري
منـــــــــــــي :: وأنت الغنى كل الغنى عند
وأنت مدى سؤلي وغاية : إقتداري
رغبتـــــــــــــي :: وموضع آمالي ومكنون
تحمل قلبي فيك مالا أبثه : إضماري
وبين ضلوعي منك مالا أبثه :: وإن طال سقمي فيك أو طال
سرائر لا تخفى عليك خفيها : إضراري
فهب لي نسيما منك أحيا :: ولم أبد بادية لأهل ولا جار

(1)المصدر السابق 9 /336.
(2) حلية الأولياء، 9 /368.

بروحـــــــــــــــــــه : وإن لــم أبــح حتــى التنــادي
أنـرت الهـدى للمهتـدين ولـم :: بأســـــــــــــــراري
يكـــــــــــــــن : وجـد لـي بيسـر منـك يطـرد
وعلمـتهم علمـا فبـاتوا بنـوره :: إعســـــــــــــاري
معاينـــه للغيـب حتـى كأنهـا : مـن العلـم فـي أيـديهم عشـر
فأبصـارهم محجوبـة وقلـوبهم :: معشـــــــــــــار
ألسـت دليـل المـرء إن هـم : وبـان لهـم منـه معـالم أسـرار
تحيـــــــــــــــروا :: لمـا غـاب عنهـا منـه حاضـرة
: الـــــــــــــدار
: تـراك بأوهـام حديـدات أبصـار
: وعصمة من أمسى على جرف
:: هـــــــــــــار
:
::
:

قال الشيخ ابن شخرف فلما ثقل قلت له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

ومالي سوى الإطراق والصمت :: ووضـعي علـى خـدي يـدي
حيلـــــــــــــــة : تجرعتهـــا حتـــى إذا عيـــل
عنـد تـذكاري وإن طرقتنـي عبـرة :: أطفئ بها حرا تضمن أسراري
بعـــــــد عبـــــــرة : إذا كنـت فـي الـدارين يـا واحـدي
تصباري أفضت دموعا جمـة :: جـــــــــــــاري[1]
مســـــــــــــتهلة : وإشفاق محزون وحزن كئيب
ولسـت أبـالي فائتـا بعـد فائـت :: وسـقطة مسـقام بغيـر طبيـب
توجع بأمراض وخوف مطالب : ليأخذ من طيب الصفا بنصيب
ولوعـة مشـتاق وزفـرة والـه :: من الشوق حتى ذل ذل غريب
وفطنـة جـوال وبطـأة غـائص : ثوت فاستكنت في قرار لبيب
ألمـت بقلـب حيرتـه طـوارق :: فمـن فهمـه فهـم عليـه رقيـب
يكـاتم لـي وجداً ويخفـى حميـة : بـك العـيش يـا أنـس المحـب
خلا فهمه عن فهمـه لحضـوره :: يطيـــــــــــــب
يقـول إذا مـا شـفه الشـوق : صـفى فاصـطفى فـالرب منـه

(1) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، الثبات عند الممات، تحقيق: عبد الله الليثي الأنصاري، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، 1406، ص 165.

واجـــــــــــــــدي :: قريـــــــــــــــب[1]
فهذا لعمري عبد صدق مهذب : ملـك القـدر خـادم الـزي عبـد
ومحـب الإلـه فـي غيـب أنـس :: ما لقلب الفتى عن الله ضد [2]
هـو عبـد وربـه خيـر رب : سماوية من دونـه حجب الرب
مجال قلوب العارفين بروضة :: فلو قدر الآجال ذابت من الحب
تكنفهـا مـن عـالم السر قربـه : وبـرد نسـيم جـل عـن منتهـى
وأروى صـداها كـاس صـرف :: الخطـــــــــــــب
بحبـــــــــــــه : لـذي العـرش ممـا زيـن الملـك
فيـا لقلـوب قربـت فتقربـت :: بـــــــــــالقرب
رضـيها فارضـاها فحـازت مـدى : وحلـت مـن المحبـوب بـالمنزل
الرضـــــــــــى :: الرحـــــــــــب
لهـا مـن لطيـف العـزم عـزم : وتهتـك بالأفكـار مـا داخـل
ســـــــرت بـــــه :: الحجـــــــــب
سـرى سـرها بـين الحبيـب : فأضحى مصونا عن سوى القرب في
وبينهـــــــــا :: القـــــــــرب[3]
عجبـاً لقلبـك كيـف لا يتصـدع : ولـــركن جســـمك كيـــف لا
فاكحـل بملمـول السـهاد لـدى :: يتضعضـــــــــع
الـــــــــــدجى : إن كنت تفهم مـا أقول وتسمع
منـع القـرآن بوعـده وعيـده :: فعل العيـون بليلهـا أن تهجـع
فهموا عن الملك الكريم كلامـه : فهمـا تـذل لـه الرقـاب وتخضـع
رجـال أطـاعوا الله فـي السـر :: [4]
والجهـــــــــــر : فمـا باشـروا اللـذات حينـاً مـن
أنـاس عليهم رحمـة الله أنزلـت :: الـــــــــــدهر
يراعون نجم الليل مـا يرقدونـه : فظلوا سكوناً في الكهوف وفي
فـداخل همـوم القـوم للخلـق :: القفـــــــــر
وحشـــــــــة : فباتوا بإدمـان التهجد والصبر
فأجسـادهم فـي الأرض هونـاً :: فصـاح بهـم أنـس الجليـل إلـى
مقيمـــــــــة : الـــــــــذكر
فهذا نعيم القوم إن كنت تبتغي :: وأرواحهـم تسـري إلـى معـدن
: الفخـــــــــر

(1) حلية الأولياء، 9 /346.
(2) حلية الأولياء، 9 /353.
(3) حلية الأولياء، 9 /369.
(4) حلية الأولياء، 9 /377.

وتعقـل عـن مـولاك آداب ذوي القـــــــــــــــــــــدر[1]

* * *

(1) حلية الأولياء، 9 /384.